١٦- قائد نعمان الشرجبي، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع المدني ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦م.
١٧- ك. ج. براون، اليمن في أوائل القرن السابع عشر، مجموعة وثائق ومذكرات التجار والبحارة الهولنديين الذين وصلوا إلى اليمن يوم ذاك، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ١٩٩٨م.
١٨- محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، صنعاء ١٩٨٨م.
١٩- محمد عبد الكريم عكاشة، يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين، عدن ١٩٩٣م.
٢٠- محمد عقلان عي الحمادي، الحياة العلمية في اليمن في العهد العثماني الثاني ١٢٦٦- ١٣٣٦هجرية/ ١٨٤٩- ١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، صنعاء ٢٠٠٨م.
٢١- مخلص بررق، فلسطين واليمن، علاقة ممتدة عبر الزمن، دار الوعد للنشر والتوزيع، صنعاء ٢٠٠١م.
٢٣- الدكتور محمود السيد، تاريخ اليهود القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ٢٠٠٤م.
٢٤- نزيه مؤيد العظم، رحلة في العربية السعيدة، منشورات المدينة، بيروت ١٩٨٦م.

الجرائد:

١- جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٠٦٢١ في ٢٩ يونيو ٢٠٠٢م، مقالة بعنوان يمنيون على الخير والشر، بقلم عرفان سدايش.
٢- جريدة فتاة الجزيرة، السنة التاسعة، العدد ٤٤٣، أكتوبر ١٩٤٨م.

مواقع الإنترنيت:

١- الجزيرة نت.
٢- أخبار اليوم.
٣- سبتمبر نت.
٤- مأرب بريس.

الصلات الاقتصادية والحضارية بين بلاد الرافدين واسيا الصغرى في العهدين الاكدي والأشوري في الألف الثاني قبل الميلاد

د. نصار سليمان السعدون

جامعة الحديدة – كلية الآداب – قسم التاريخ

المقدمة

تعد دراسات الصلات الاقتصادية والحضارية بين بلاد الرافدين وأسيا الصغرى ، إحدى الدراسات التاريخية المهمة التي ترجع إلى عصور قديمة [١] ، يرجعها بعض الباحثين إلى عصور مبكرة ، وهنالك من الأدلة ما يشير إلى ذلك [٢] ، كما إن تلك الصلات يعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات بحدود ٢٩٠٠-٢٣٧١ قبل الميلاد ، كما ورد في كتابات الملك السومري (لوكال- زاكيزي) ملك مملكة أوما السومرية الواقعة في جنوب بلاد الرافدين في محافظة الناصرية حاليا ، قضاء الشطرة ، ناحية الدواية ، ومؤسس مملكة الوركاء الثالثة بحدود (٢٤٠٠-٢٣٧١) قبل الميلاد [٣] ، والذي امتدت نشاطاته العسكرية إلى مناطق آسيا الصغرى عبر سورية ، ولهذا فإن المستوطنات التجارية في آسيا الصغرى ، تعود إلى العصر السومري مثل مستوطنة كانيش التجارية **(kanish)** مستوطنة كول- تبه حاليا(kul-tepe)[٤]

وقد شهدت تلك الصلات الاقتصادية والحضارية والسياسية تطورا كبيرا في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد بين بلاد الرافدين في العهد الاكدي وبلاد آسيا الصغرى خلال الفترة (٢٣٧١-٢٢٣٠) قبل الميلاد ، وما تلاه في العصور الأخرى والتي توضحت خلال العصر الآشوري القديم والتي استغرقت خمسة قرون ، تباينت فيها الظروف السياسية العامة ، وبعد أن تجاوزت الدولة الآشورية مرحلة تبعيتها إلى سلالة أور الثالثة في عام ٢٠٠٤ قبل الميلاد.

الصلات الاقتصادية والحضارية في العهد الاكدى :

عهد سرجون الاكدى:

تطورت الصلات بين البلدين في عهد الملك سرجون الأكدي مؤسس الدولة الاكدية خلال الفترة (٢٣٧١-٢٢٣٠) قبل الميلاد والذي دام حكمه خمسة وخمسون عاما (٢٣٧١- ٢٣١٦) قبل الميلاد قضاها بتوحيد البلاد على الصعيد الداخلي، ثم توسعت تلك الدولة باتجاه العلاقات الخارجية التي قام بها الملوك الأكديون مع دول الجوار وخاصة آسيا الصغرى [٥] ، ويمكننا التصور عن نشاط الملك سرجون الأكدي ، والملوك الذين خلفوه من خلال الكتابات والمعلومات التي وردت عن تلك الكتابات التي يرد فيها ذكر الصلات الاقتصادية والخضارية والسياسية والعسكرية ، وكيفية اجتياز جبال (طوروس) الصعبة ليتوغل فيما يعرف بآسيا الصغرى[٦] كما جاء في إحدى نصوص سرجون الاكدي بقوله : (سيطرت على البلاد من البحر الاعلى إلى البحر الأدنى) ونظرا لما تحويه هذه المنطقة في آسيا الصغرى من مناجم الفضة والمعادن الأخرى

والأخشاب الجيدة التي كان الأكديون بحاجة إليها ، كما ورد في النصوص الأكدية بأن جبال (طوروس) القائمة في آسيا تدعى بجبال الفضة[٧] وهذا ما دفع الملوك الأكديين ، حفاظا على مصلحة دولتهم للعمل على توفير الحماية للقائمين على الفعاليات الاقتصادية واقترانها بالفعاليات العسكرية في شرق وجنوب أسيا الصغرى[٨] . ولغرض ابقاء السيطرة على المناطق التابعه لتلك الامبراطورية فقد عين سرجون الأكدي مواطنين من اكد ومنهم من بعض افراد العائلة الحاكمة كما جاء على لسانه : (عينت حكاما من البحر الأسفل الى البحر الأعلى)

وقد لعب الأكديون دورا مهما في المجال السيسي والاقتصادي من أجل حماية مصالحهم الاقتصادية وبخاصة فيما يتعلق بطرق الواصلات وطرق القوافل التجارية وتأمين العلاقات القائمة مع سوريا وأسيا الصغرى ٠(٩) والسيطرة على المصادر المهمة للحصول على الأخشاب والمعادن الثمينة من سفوح جبال طوروس ٠(١٠) وهذا مادفع سرجون الأكدي على شن الحملات العسكرية على أسيا الصغرى ٠

ومن الأعمال السياسية والعسكرية والاقتصادية والحضارية التي قام بها سرجون الأكدي ، هي قيامه بحملة حربية نحو الأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ، استجابة لنداء الجالية الأكدية التي كانت تقطن مدينة (بوروش- خاندا) والتي تعرضت للظلم والاضطهاد من جراء حاكم المدينة (نور- داكال) (Nur-Daggal) [١١] . ويظهر ذلك واضحا من خلال مقابلة الملك سرجون الأكدي لرئيس واعضاء البعثة التجارية الأكدية القادمة من أسيا الصغرى ، حيث قالوا له :

جئنا إلى سرجون ملك العالم نلتمس اسميه

بأننا لسنا برجال حرب ولكننا نعرف الطريق،

ونحن واثقون أن الملك سيقيم خرائبنا،

وليس هناك من يقاومه في الصراع[١٢]

وتمثل هذه الحملة العسكرية سابقة قيمة للروح الوطنية والقومية عند الأكديين ، وقد أعدتها المصادر والمراجع التاريخية ، إحدى الملاحم العظيمة التي أقام بها الملك سرجون الأكدي ، متحديا مصاعب الطريق وبعد المكان الذي يبعد أكثر من (٦٠٠) كم [١٣].

إن الملك سرجون الأكدي وجنوده قد داهموا مدينة (بوروش- خاندا) وبلغوا قصر الحاكم (نور- داكال) الذي كان يقول عندما يخاطب مستشاريه ، كما ورد في النص : سوف لا يستطيع سرجون الوصول إلينا ، سيمنعه الجبل العالي٠(١٤)

ونتيجة لهذا الانتصار العظيم الذي حققه سرجون الأكدي ، مما جعل الحاكم (نور- داكال) يعترف بدور سرجون البطولي بقوله :

إنني أعترف بك سيدا .. جند إلهك

جعلوك تخترق الطريق .. من النهر ..

من يستطيع منافستك .. عدوك لا وجود له !

عداوته محتقرة ! انك أنت الذي تحرق قلوب أعدائك [١٥]

وتمخضت هذه الحملة العسكرية عن انتصار وقدرة فائقة للملك سرجون الأكدي الذي عزز بدوره الجاليات الأكدية ، وفرض معاهدة الولاء للدولة الأكدية من قبل حاكم المدينة (نور- داكال)[١٦] .

إن ملحمة ملك المعركة هي على قدر كبير من الحقيقة التاريخية (١٧) ،حيث إن ذكر مدينة (بوروش- خاندا) التي جرت فيها أحداث ملحمة ملك المعركة ، قد ورد ذكرها في نصوص الملك الأكدي (نرام- سين) حفيد الملك سرجون الأكدي ، لكونها من بين الأقاليم التي شملتها فتوحاته من جهة ، ومن جهة أخرى ، ما ذكرته المصادر الآشورية والوثائق التي نظمت على هيئة إثبات ما يعرف بالجداول الجغرافية[١٨] .

عهد نرام – سين :

تميز عهد نرام- سين بالازدهار في سنواته الأولى ، وقد سار على نهج جده سرجون الأكدي في توطيد صلاته الاقتصادية والحضارية والسياسية والعسكرية ، ومد فتوحاته العسكرية الخارجية إلى جنوب شرق آسيا[١٩] ، بفرض سيطرته على منطقة واسعة خارج حدود المملكة الاكدية امتدت من مدينة (بوروش- خاندا) في آسيا الصغرى ، وهذا يعد امتداد واسع، إلى كون (بوروش - خاندا) ، كانت من بين الأقاليم التي تم فتحها في عهد نرام - سين[٢٠] .

أشارت المصادر التاريخية المتأخرة إلى كون الملك (نرام - سين) ، قد قام عسكريا بمجابهة الحلف العسكري المكون من سبعة عشر ملكا في آسيا الصغرى ، وكان

يضمنهم ملك (بوروش – خاندا) ، وملك حاتي ، (Hatti)المسمى (بامبا) (pamba)والذي يعد ذكره إشارة إلى الأقوام الحثية في آسيا الصغرى[٢١] .

أظهر الملك (نرام –سين) مقدرة عالية في أن يصبح بطلا لملحمة أو أسطورة (كوثى)[٢٢] كما كان جده سرجون الأكدي ، الذي أصبح بطلا في ملحمة ملك المعركة مع مدينة (بوروش - خاندا) في الأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى.

شملت فتوحات الملك (نرام – سين) إقليم الحوريين[٢٣] ، حيث قام بحملة عسكرية ضد الملك الحوري ، الذي كان يسكن في موطنهم الأصلي في أرمينيا الواقع إلى الشمال من بلاد آشور ، فيما وراء جبال (طوروس) ، والذين ظهروا منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد واتصل بهم ملوك الدولة الأكدية ، حيث كانت لهم دويلة في أعالي وادي دجلة والفرات[٢٤] .

خلد (نرام – سين) انتصاراته على الملك الحوري (نامار) (Namar) ، على مسلة منقوشة وفيها صورة الملك (نرام - سين) ، وتقع بالقرب من ديار بكر في الأراضي التركية حاليا (آسيا سابقا) عند قرية (بير- حسين) ، وإن هذه المسلة المحفوظة حاليا في متحف إسطنبول في تركيا تصور الملك (نرام _سين) واقفا بشكل جانبي يرتدي رداء طويلا مع ترك الذراع الأيمن عاريا ، ماسكا بيديه مقبضين لعلهما سلاحا أو صولجانا كما مبين في شكل رقم (١) .

وقد أكدت المصادر التاريخية إلى اهتمام الملك الأكدي (نرام- سين) في إقامة التحصينات العسكرية في المواقع المهمة وطرق المواصلات المؤدية إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام فضلا عن تشييد الحصن الكبير في الموقع المعروف (بتل براك) في منطقة الخابور أعالي نهر الفرات في الأراضي السورية حاليا ، وكان الملك الأكدي (نرام – سين) يهدف من وراء تلك الجهود ، توفير الحماية والأمان لضمان ديمومة الصلات الاقتصادية والحضارية بين بلاد الرافدين والدولة الأكدية وبلاد آسيا الصغرى .(٢٥)

الصلات الاقتصادية والحضارية فى العهد الآشورى:

العهد الآشورى القديم :

عهد إيلوشوما وابنه إيريشم الأول :

بدأت الصلات الاقتصادية والحضارية والسياسية تتوضح خلال العصر الأشوري القديم وما تلاه من العصور الأخرى والتي استغرقت خمسة قرون تباينت فيها الظروف السياسية والعامة وبعد أن تجاوزت الدولة الأشورية مرحلة تبعيتها إلى سلالة أور الثالثة

على إثر نهايتها السياسية عام (٢٠٠٤) قبل الميلاد وحتى قيام سلالة الملك الأشوري (شمش- ادد الأول) في عام (١٨١٣-١٧٨١) قبل الميلاد ، والتي تمثل هذه المرحلة الطور الأول للدولة الآشورية[٢٦].

ويرى بعض الباحثين أن الصلات الاقتصادية بين الدولة الاشورية وأسيا الصغرى، ترجع إلى بدايات الألف الثانية قبل الميلاد[٢٧] . والتي اتسعت في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد في العصر الأشوري القديم في عهد الملكين الأشوريين (إيلوشوما) والذي حكم خلال الفترة (١٩٦٢- ١٩٤٢) قبل الميلاد وأعقبه في الحكم ابنه (إيريشم الأول) خلال الفترة (١٩٤١-١٩٠٢) قبل الميلاد وقد اشارت المصادر التاريخية إلى ازدهار الصلات الاقتصادية بين البلدين والتي ترجع إلى زمن الملك المذكور (٢٨) ٠

يعد الملك (إيريشم الأول) أقدم الملوك الآشوريين الذين ورد ذكره في المصادر التاريخية التي تشير إلى مستوطنة كانيش في أسيا الصغرى (٢٩) ٠

إن المصادر التاريخية الأشورية تشير إلى أن المدن في المستوطنات الآشورية التجارية في آسيا الصغرى في كل من مدينة كانيش (كول تبه) وخاتوشى (موضع العاصمة الحثية القديمة) وفي (علي - شار) و (أنكووا) في أسيا الصغرى قد مرت بمرحلتين تاريخيتين:

أولا: الطور الأول للعصر الأشوري القديم والذي يبدأ في عهد الأشوري (إيريشم الاول) (١٩٤١_ ١٩٠٢) قبل الميلادلكونه أقدم الملوك الأشوريين الذين ورد ذكرهم في مدينة كانيش في اسيا الصغرى (٣٠) علما بأن المصادر التاريخية تشير إلى أن تاريخ أسيا القديم بدأ بشكل فعلي بالصلات الاقتصادية والحضارية مع بلاد الرافدين وذلك بوصول التجار إلى شرق أسيا واقامة المستوطنات التجارية هناك في العهدين الأكدي والأشوري وفي مطلع الألف الثانية قبل الميلاد وفي حدود (١٩٠٠_ ١٨٠٠) قبل الميلاد أي قبل عهد الملك الأشوري شمشي أدد الأول(١٨١٣_ ١٧٨١) قبل الميلاد (٣١) ٠ثانيا:الطور الثاني من تاريخ المستوطنات يبدأ بسلالة الملك الأشوري شمشي أدد الأول ومن بعده حكم أبناؤه (آشمي داكان) و (يسمح أدد) وقد استمرت تلك الصلات الاقتصادية حتى نهاية النفوذ الأشوري في المنطقة بعد ظهور المملكة الحثية القديمة والتي سيطرت على تلك المستوطنات الأشورية وجعلتها تحت سلطتها في أسيا الصغرى (٣٢)٠

المدن والمستوطنات الأشورية فى آسيا الصغرى:

إن المدن والمستوطنات التجارية التي أقامها المستوطنون في آسيا الصغرى والتي اعتمدت كمراكز تجارية للجاليات التجارية العاملة في المجال الاقتصادي والسياسي

والتي تمثل مركزا لتنظيم العلاقات الاقتصادية والحضارية والسياسية بين البلدين ، وقد اعتمدت مدينة كانيش من بين المدن والمستوطنات العديدة في آسيا الصغرى وذلك لأهميتها من حيث الموقع الجغرافي حيث تقع على مقربة من سفح تل (قره هويوك) في أواسط آسيا الصغرى والتي تبعد مسافة ٢٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة (مازاكا) القديمة شرق أواسط تركيا والى الجنوب من نهر(قزل ايرمق) (نهر هاليس)[٣٣] . وتشير المصادر التاريخية إلى مدينة كانيش (kanis) أو كنهش (knhs)، ولعلها مدينة (نيسا) (Nisa) الواقعة على تل (قرة هويوك) مع المعبد والقصر وقد اكتسبت أهمية كبيرة من بين المدن والمستوطنات التجارية الأشورية في أسيا الصغرى (٣٤) من خلال وقوعها في أراضي خصبة في وسط سهل قيصرية الخصب من جهة وعند النهاية الشرقية لهضبة الأناضول من جهة ثانية إضافة لتوفر مصادر المياه فيها ولوقوعها على مفترق الطرق التجارية التي تربط الشرق والغرب ونقطة التقاء الطرق التجارية إليها في بلاد آشور من جهة اخرى (٣٥) . كما في شكل رقم ٢ و٣ .

ويشير الباحث بوستغيت نيكولاس إلى بقايا مستوطنة كانيش الآشورية والتي كشفت عن وجود أربع طبقات سكنية أقامت فيها جالية آشورية بحدود (١٩٢٠ _ ١٨٤٠) قبل الميلاد (٣٦) . استنادا لما ورد في بعض المصادر التاريخية من أسماء بعض الملوك الآشوريين وهم إيريشم الأول ، و(سرجون الأول) الأشوري و(بوزر- آشور الثاني) ، ثم تعقب ذلك الدور ، ما يشير إلى التدمير والتخريب الذي أصاب الموقع وربما نتج عن حريق بالاستناد إلى بقايا آثاره ، فهجر الموقع التجاري الآشوري آنذاك لمدة تقرب عن الثلاثين إلى الخمسين عاما ، ثم استأنف نشاطه التجاري ثانية ، حيث عاود التجار الآشوريين السكن وظهرت الوثائق ثانية التي يمكن من خلالها أن يؤرخ الدور الثاني تقريبا بحكم الملك الآشوري (شمش- أدد الأول) (١٨١٣-١٧٨١) قبل الميلاد[٣٧] .

كما أظهرت التنقيبات الأثارية في كانيش أيضا أن المستوطنات التجارية الآشورية كانت خارج حدود تلك المدينة[٣٨] ، كما أن التجار الآشوريين كانوا يقطنون منطقة واسعة تقع إلى الشرق من كانيش ، وتشمل سوقا تجاريا في بداية تكوينها ، وبسبب تطور أعمال هذا السوق صارت مركزا تجاريا لتسويق السلع الآشورية وغيرها لمدينة كانيش والمدن المجاورة الأخرى ، ثم مدينة كبيرة أصبحت جزءا متمما لمدينة كانيش على أن هنالك تسع مستوطنات تجارية آشورية مركزية إلى جانب عشر محطات تجارية مساعدة أو أكثر وجميعها في وسط وشرق آسيا الصغرى .(٣٩)

العوامل التي ساعدت على نشوء وتطور المستوطنات:

يرجع نشوء وتطور المستوطنات التجارية الآشورية في آسيا الصغرى إلى العوامل التالية:

أولا: البيئة الطبيعية التي نشأت فيها حضارة بلاد الرافدين وخصوصا منطقة السهل الرسوبي الجنوبي التي اشتهرت بثرواتها المائية من نهري دجلة والفرات ، وغنى حاصلاتها الزراعية ومنتجاتها الحيوانية منذ أقدم عصور التاريخ ، لذلك اعتمدوا على سياسة التبادل التجاري مع الأقطار المجاورة وخاصة آسيا الصغرى ، لسد النقص الحاصل في المواد التي تفتقر إليها الدولة الآشورية ، والتي تحتاجها للصناعات كالمعادن والأخشاب والأحجار النفيسة الضرورية لبناء الحضارة التي تتسم بكونها حضارة تجارية وزراعية وري[٤٠] ، فضلا عن تصريف الفائض من المنتجات الزراعية والحيوانية في بلاد آشور .

ثانيا: الموقع الجغرافي للدولة الآشورية والمتمثل بالجزء الشمالي من بلاد الرافدين والذي ساهم في اتساع النشاط التجاري مع دول الجوار ، وخاصة آسيا الصغرى موضوع بحثنا ، بما تمتلكه الدولة الآشورية وبلاد الرافدين عموما من ثروات زراعية وحيوانية وسيطرتها على طرق المواصلات التجارية بين سهل الفرات الرسوبي وهضبة إيران من جهة وبين القسم الشمالي الشرقي لحوض البحر المتوسط من جهة أخرى مما جعل بلاد آشور تتحكم بتجارة هذه المناطق[٤١] حيث استطاعت جماعات من التجار الآشوريين توسيع تجارتها الخارجية والسيطرة على أشهر المراكز التجارية في آسيا الصغرى[٤٢] .

ثالثا: ساعد موقع آسيا الصغرى ومنذ العصور المبكرة من التاريخ على اكتسابها شهرة واسعة لما تتمتع بها من خصائص بيئية جيدة من خلال امتلاكها الموارد الطبيعية والضرورية للاقتصاد كالمعادن الثمينة والأحجار والأخشاب مما دفع بلاد آشور على الاتصال وبناء علاقات تجارية متبادلة معها[٤٣] .

رابعا: أولى ملوك بلاد الرافدين منذ أقدم العصور التاريخية اهتماما بالتجارة الخارجية وديمومتها كما وردت الإشارة إلى الملك (سرجون الاكدي) وحفيده(نرام- سين) ، في تأمين مصالحهم التجارية في آسيا الصغرى ، وكذلك في عهدي الملكين الآشوريين ، (أيلوشوما) وابنه (إيريشم) الأول من خلال ما أولوه من اهتمام بالمستوطنات التجارية الآشورية في آسيا الصغرى وإقامة المحطات التجارية على امتداد طرق المواصلات التجارية لضمان سلامة وأمن تلك الطرق المؤدية إليها[٤٤] .

إدارة المستوطنات التجارية:

قام التجار في آسيا الصغرى بدعم وتشجيع عدد من ملوك الدولتين الأكدية والآشورية خلال العصر الآشوري القديم ، بإنشاء وديمومة المستوطنات الآشورية في مناطق متعددة من آسيا الصغرى ، وقد أسفرت تلك المساعدات من إقامة إدارة آشورية مركزية ، كانت تشرف على المستوطنات وإدارتها من قبل مستوطنة كانيش بوصفها مركز للسلطة الآشورية في آسيا الصغرى وقد اطلق الباحثون على هذه الهيئة المشرفة على إدارة أعمال المستوطنات التجارية اسم (كاروم) (٤٥) والذي يعني بالدرجة الأولى مركزا تجاريا وحرفيا بمعنى الميناء .

ويبدو أن مصطلح كاروم (karum) وباللغة الأكدية مشتق من المصطلح السومري (كار) (kar) الذي يعني بالأصل الضفاف الطينية التي بنيت على ضفاف الأنهار في العراق القديم ، ومد القنوات التي كانت تستعمل كموانئ لغرض تحميل وتفريغ البضائع التجارية (٤٦) .

وقد اتسع مدلول مصطلح (الكاروم) فيما بعد تبعا لوظائفه المتعددة كما يرى العديد من الباحثين ومنها :

أولا: أنه نوع من العمل الإداري كمجلس أو لجنة التجار في مستوطنة كانيش ، كموقع تتبع له المراكز الرئيسية الأخرى(٤٧) .

ثانيا: إن الكاروم يمثل مستوطنة يعيش فيها عدد من التجار الآشوريين آنذاك في أسيا الصغرى(٤٨) .

ثالثا: اعتبر الكاروم مجمعا كبيرا لأمور المال والاقتصاد والمركز الذي كان يديره الآشوريون خارج آشور في آسيا الصغرى(٤٩) .

رابعا: إن الكاروم عبارة عن غرفة تجارة يعرفها الآشوريون والآسيويون تحت اسم (كاروم)، وهي تقوم مقام غرفة التجارة حاليا بالشؤون الاقتصادية بين البلدين(٥٠) .

خامسا: هي عبارة عن مستعمرة آشورية تجارية في آسيا الصغرى ممثلة بإدارة تجارية(٥١) .

سادسا: وهي عبارة عن مكان السوق على جانب رصيف الميناء ، وتعني رابطة تجار المدينة(٥٢) .

سابعا: عبارة عن منظمة تجارية قضائية إدارية للآشوريين في آسيا الصغرى في المناطق الخاضعة اسميا لبلاد آشور[٥٣] .

ثامنا: يمثل الكاروم المركز التجاري الرئيسي الذي يرمز له في الواقع إلى معان عديدة ترتبط بالمراكز التجارية ومنها الأسواق ، بيوت المال ، البضائع ، أرصفة الموانئ[٥٤] .

إن ما تقدم يشير إلى أن الكاروم كان يؤدي وظائف متنوعة ومتعددة ، وذلك في ضوء الوظائف التي يؤديها كاروم كانيش ، ولربما أوسع بكثير في مجال الوظائف المتعلقة بشؤون الصيرفة ومنح القروض والضرائب والمكوس والكمارك التي تؤخذ من القوافل التجارية القادمة إلى آسيا الصغرى وكذلك ضمان وحماية القوافل التجارية ، إضافة لقيام الكاروم بوظيفة إصدار الأحكام بشان المنازعات التي تحصل بين التجار أو سكان المنطقة ويقوم بوظيفة المحكمة أو مجلس الشورى في الوقت الحاضر كما كان الكاروم يمتاز بعلاقات متبادلة مع كل من الوطن الأم أي الدولة الآشورية من جهة ومع الأمراء أو السكان في آسيا الصغرى من جهة أخرى (٥٥) .

ويقابل الكاروم ، تنظيم آخر اعتمده الآشوريون في آسيا الصغرى أطلق عليه في اللغة الأكدية (وبارتم) (wabartum), ويبدو أنه مشتق من اسم مؤنث (وبرت) (wabrutum) وتعني الغربة ومشتق من الاسم (وبرو) (wabrum) بمعنى غريب عن المدينة ، وقد تباينت آراء عدد من الباحثين بخصوص معنى الوبارتم ومن هذه الآراء هي :

أولا: إن الوبارتم هو نوع من اتحاد التجار أو جمعية التجارة لأشخاص صغار[٥٦] .

ثانيا: إنه أشبه بمحطات عسكرية لغرض حماية الطرق التجارية وتضم أشخاص محاربين ، يعيشون في المنطقة كمزارعين ويدافعون عن الطرق التجارية عند الحاجة[٥٧].

ثالثا: إنها أشبه بالمستوطنات او المراكز التجارية الصغيرة إلى جانب الكاروم[٥٨].

في ضوء ما تقدم يبدو لنا إن الوبارتم كان عبارة عن تنظيم إقامة التجار الآشوريون في المدن الأقل شانا أو ثانوية الأهمية ، بالنسبة إلى الكاروم المركزي في كانيش والذي يضم أناسا محاربين ، استوطنوا المنطقة كمزارعين ، وفي نفس الوقت يتولون مهمة الدفاع وحماية الطرق التجارية من عمليات السرقة والتي كان يتعرض لها بعض التجار الآشوريين وقوافلهم التجارية في الطرق المارة عبر المناطق الخاضعة لسيطرة الأمراء المحليين في المنطقة عموما .

ويبدو أن عدد هذه التنظيمات وبهيئة فروع للكاروم ومن نوع الوبارتم المنتشرة على طول الطريق المؤدي إلى إقليم (كبادوكيا) المركزي في آسيا الصغرى الممتد من بلاد آشور حتى سهل قونية في الجنوب الغربي من هضبة الأناضول وبمسافة تقدر حوالي ٦٠٠ ميل من الشرق إلى الغرب كما ورد في نصوص مستوطنة كانيش أسماء عدد من تلك التنظيمات ومنها (بوروش- خاندا) (purus-khanda) و (بوروش حاطوم) (purus-hattum)و (خاظوم) (khadum) و (خوارما) (khuarrma) و (نيشيريا) (nisiria) و (زالبا) (zalba) وغيرها .(٥٩)

وفضلا عن ذلك فإن الصلات الاقتصادية ما بين بلاد الرافدين وبلاد آسيا الصغرى تمثل القنوات الرئيسة والمهمة التي ساعدت على نشر الموروث الحضاري في بلاد الرافدين في المناطق المجاورة لها ولعل أبرز مثال على ذلك كانت لغة النصوص التي تركها التجار الأكديون والآشوريون في المستوطنات هي الأكدية بأهميتها الاشورية القديمة والتي دونت بالخط المسماري الذي استخدمه الحثيون في كتابة لغتهم فيما بعد .

يتضح الدور الحضاري للمستوطنات التجارية في المجال الديني من خلال انتشار الكثير من الأفكار والمعتقدات الدينية العراقية القديمة إلى سكان بلاد آسيا الصغرى وإلى الأقوام الحثية التي استوطنت المنطقة في آسيا الصغرى وعلى أثر نهاية النفوذ الآشوري ، حيث دخلت الكثير من أسماء الآلهة العراقية القديمة في الديانة الحثية مثل الآلهة (عشتار) والتي أطلق اسمها على آلهة حثية محلية (نوشكا) بعد إجراء تحويرات تلائم فكرهم الديني .(٦٠)

ومن جانب الأوزان والمقاييس نجد أن التجار الآشوريين استعملوا الأوزان والمقاييس العراقية القديمة التي كانت تستعمل في بلاد بابل وآشور مثل البطالنت والمن ، والشيقل ، والحبة التي تتبع كلها النظام الثيني في الوزن[٦١] .

أما في التقويم واحتساب التاريخ نجد المستوطنات التجارية الآشورية اتبعوا طريقة اللمو (limmu) وهي من الطرق المتبعة في تدوين الحوادث التاريخية وتقويمها من خلال تسمية السنين الخاصة بعهد الملك بأسماء كبار موظفي الدولة ابتداء من الملك[٦٢]

وتشير الإثباتات الآشورية بأن السنة المحلية في المستوطنات بدأت في شهر شباط /آذار كما يرى بعض الباحثين إن الشهور كانت واحدة في كبدوكيا في آسيا الصغرى وبلاد آشور[٦٣] .

أما في مجال الأختام الأسطوانية والمنبسطة والتي استخدمها التجار الآشوريين والتي كانت غالبيتها طبعت بأساليب عراقية قديمة حورت معظمها لتلائم الذوق المحلي مثل أختام كبدوكيا[٦٤] .كما في شكل رقم (٤) .

نهاية دور المستوطنات التجارية فى أسيا الصغرى:

بعد أن استعرضنا في مستهل البحث أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى تطور الصلات الاقتصادية بين بلاد الرافدين ، وبلاد آسيا الصغرى في العهدين الأكدي والأشوري في الألف الثانية قبل الميلاد وتطور المستوطنات التجارية الأكدية والآشورية في آسيا الصغرى وأوجزنا أهم العوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت على تطورها وازدهارها في الربع الأول من الألف الثانية قبل الميلاد . إن هذه العوامل والظروف قد تغيرت باتجاه معاكس أدى بالتالي إلى توقف النشاط والصلات التي كانت قائمة بين البلدين آشور وأسيا الصغرى بشكل مفاجئ[٦٥] ، وذلك لتغيير المناخات السياسية لكلا البلدين وما أحدثته من إخلال بموازين القوى والأمن في المنطقة ، مما تسبب في عرقلة الصلات التجارية وطبيعة حركتها بين أشور وأسيا الصغرى ومن ثم توقفها.(٦٦)

إن تدفق ومجيء الهجرات من الأقوام الهنودواوربية إلى آسيا الصغرى والأقوام الحثية أدت إلى تدهور الصلات والعلاقات بين بلاد آشور وأسيا الصغرى من جهة ومن جهة أخرى فإن الوضع السياسي في بلاد آشور بعد مجيء الملك الآشوري (شمشي – أدد الأول) بدا بالتدهور في العلاقات بين بلاد آشور واسيا الصغرى والذي أخذ يطالب بامتيازات في آسيا الصغرى أكثر مما كانت عليه في السابق ولربما كانت سببا في تدهور ونهاية المستوطنات في آسيا الصغرى[٦٧] ويرجع تدهور الأوضاع السياسية في شمال سوريا وأعالي نهر الفرات في بلاد الرافدين إلى سيطرة الأقوام الحورية والميتانية عليها والذي انعكس بشكل سلبي على مسار العلاقات التجارية بين بلاد آشور وأسيا الصغرى ، إضافة إلى تقلص نفوذ بلاد آشور منذ أواخر عهد الملك الآشوري (يسمح-دكان الأول) (١٧٨٠-١٧٤١) ق.م والتي أدت إلى تعرض الصلات الاقتصادية التجارية التي كانت تحولها العلاقات التجارية الكبيرة في بلاد آشور والتي تأثرت بالتقلبات السياسية في المنطقة شأنها شأن أي مشروع حكومي[٦٨] والذي تعرض إلى ضعف التعزيز المالي فضلا عن تعرض طرق التجارة إلى قلة أو عدم الأمان لها والتي أدت إلى عرقلة الاستمرار بها وقلة شان هذه المستوطنات التجارية الأشورية في آسيا[٦٩] .

وكما يبدو أن الملوك الحثيين أخذوا يوجّهون المركز التجاري (الكاروم) حسب مقتضياتهم السياسية والحربية مما أدى إلى انفضاض التجار عن الكاروم وجمود الحركة

التجارية إلى عبث العابثين وحرقها وسلبها كما حصل لمستوطنة (كانيش) ، ومدينة (خاتوشا)(بو غازوكي) والتي دمرت هي الأخرى عام ١٧٠٠ ق.م على يد الملك الحثي (إنيتاين يثلخان) ملك (كوسار)[٧٠] .

وبنهاية دور المستوطنات التجارية الآشورية في آسيا الصغرى نتيجة لتطورات الأحداث السياسية في كلا البلدين والتي أدت إلى أن يكتنف الظلام آسيا الصغرى من جديد بعد مدة طويلة من الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي عاشته المنطقة في ظل تلك المستوطنات.

خريطة رقم (٢) من : لايب، ساكز ، نينوى واشور ، ص ٥٨ .

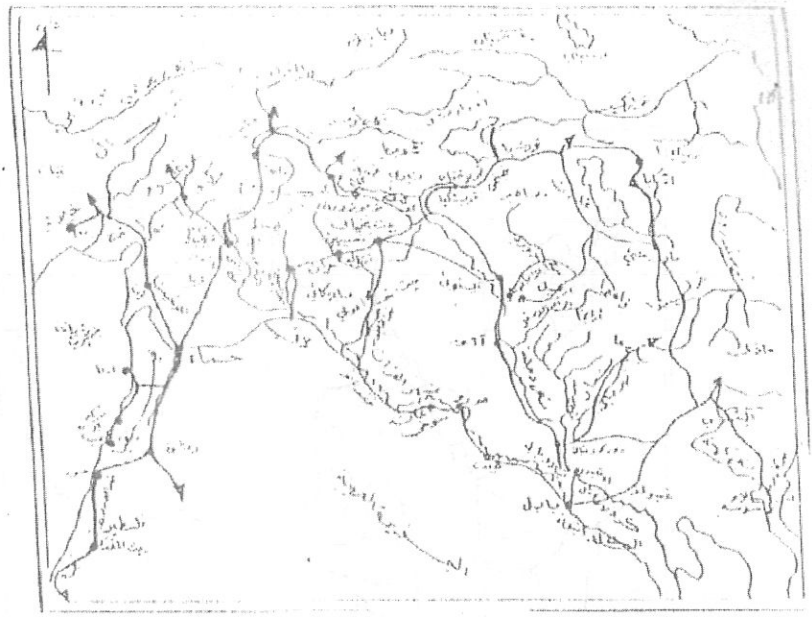

خريطة رقم (٢) : طرق تجارة البخور بجزء الشرق الأدنى القديم بالعصور القديمة والمدن التجارية.

عن: مبيض، طالب منعم، الجزيرة العربية ... ص ٦٧.

شكل رقم (٦) : لهبتات اقتام اسطوانية من المقصر الرسمي بالمعبد الكبير. عن: سوريتكار، الظروف، الفن في العراق القديم، ص ٢١٦.

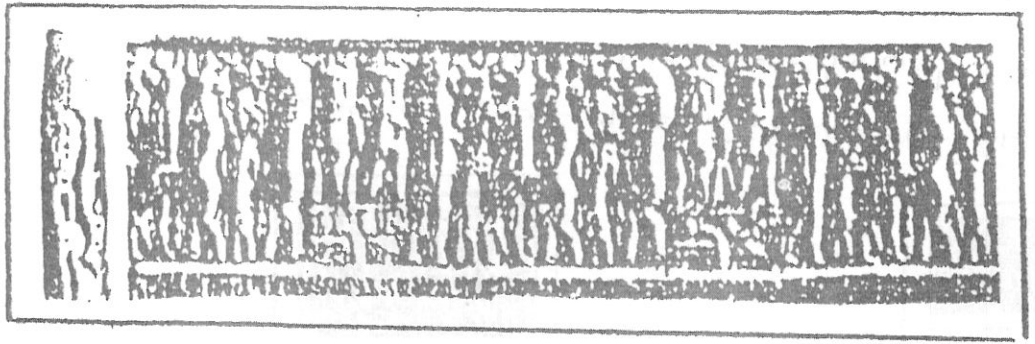

شكل رقم (٥) طبعة ختم اسطواني من كيدوكيا في آسيا الصغرى يرمز إلى مدى تأثر هذه الصناعة باختام بلاد الرافدين . عن :

ناجي ، عادل ، في حضارة العراق ، ج ٤ ، ص ٣١٨ .

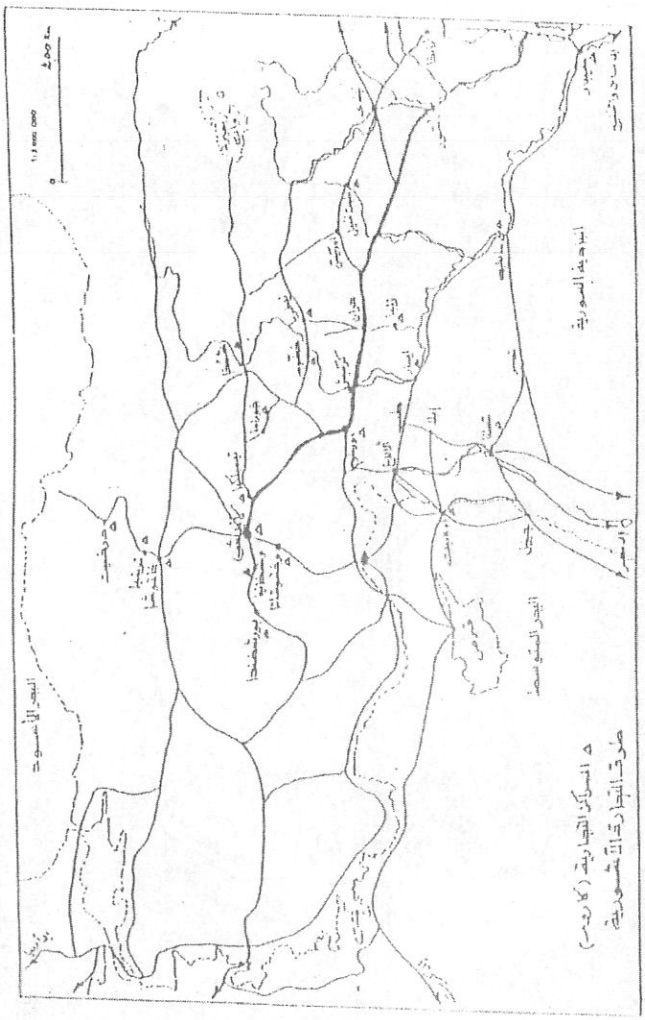

خريطة رقم (٤): من اعداد الباحث، اعتمادا على: أطلس الوطن العربي، ط٢، (١٩٩٤)، ص ١٠٦.

الهوامش

المصادر والمراجع

١- برستيد ، جيمس هنري، انتصار الحضارة(تاريخ الشرق القديم) (القاهرة،١٩٦٢)، ترجمة أحمد فخري، ص١٧٧.

٢- الهاشمي، رضا جواد ، التجارة في حضارة العراق ، نخبة من الباحثين العراقيين ، الجزء الثاني (بغداد -١٩٨٥م) ص٢٠٩ .

٣- باقر ، طه ، علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الادنى ، مجلة سومر ، العدد الرابع ، ١٩٤٨م ، ص٨٩ .

٤- كريمر، صموئيل نوح، السومريون (الكويت ، ١٩٧٣م) ، ترجمة فيصل الوائلي،ص٧٨-٧٩.

٥- باقر، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول، بغداد ، ١٩٧٣م ،ص٣٥٢.

٦- Foster.B.R.((Archires and cmpire in sarpoin mesopotamin)) in cuniform Archires and libraries (Istanbul 1986).pp.46-53

٧- باقر ، طه ، مقدمة ... ج١ ، ص٣٣. ينظر - مارش ، ايج ، قصة الحضارة في سومر وبابل ، (بغداد -١٩٧١)، ترجمة عطا بكري ، ص٤٧ .

٨- برستيد، جيمس هنري ، المصدر السابق ص١٧٧.

٩- إسماعيل ، بهيجة خليل ، المستعمرات التجارية الأشورية في الأناضول ، مجلة النفط والتنمية ،٧-٨ (عدد خاص) ، ١٩٨١م ،ص٥٣ .

١٠- الأحمد، سامي سعيد ، المدخل في تاريخ العالم القديم (العراق القديم) ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، (بغداد ١٩٨٣م) ، ص٨٧ .

١١- رو، جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين، (بغداد، ١٩٨٤) ص٢١١.

١٢- ميخائيل ، نجيب ، مصر والشرق الأدنى القديم ، (مصر ،١٩٦٣م)، ص١٤٤.

١٣- ميخائيل نجيب، المصدر السابق، ص١٤٥ .

١٤- الأحمد ، سامي سعيد ، المدخل ...، الجزء الثاني ، ص٢٣-٢٤ . ينظر ميخائيل نجيب ، المصدر السابق ، ص١٤٥.

١٥- ميخائيل، نجيب ، المصدر السابق ،ص١٤٥.

١٦- باقر ، طه ، مقدمة ، الجزء الأول ، ص٣٦٤ .

- ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان(باريس، ١٩٧٩)، ص٣١٦ .باقر ، ، مقدمة ... ج١، ص٤٤٥ .
- باقر ، طه ، وآخرون ، تاريخ العراق القديم (صلاح الدين-١٩٨٧م) ، ص١٤٩.
- Wallo.W.and Simpson,op,Cit,p.62.
- الأحمد ، سامي سعيد ، المدخل ...، الجزء الثاني ، ص٣١ .
- كوثى ، تعرف بقاياها الآن باسم (تل إبراهيم أو جيل إبراهيم) الواقع شمال شرق بابل ، ـ عندها مجرى النهر القديم المسمى نهر كوثى ، ينظر باقر ، طه، مقدمة ، الجزء الأول ، ٤٢٧.
- باقر، طه ، المصدر نفسه ، ص٧٨-٧٩ .
- باقر، طه ،المصدر نفسه، ص٧٨-٧٩ .
- لويد ، سبتون ، أثار بلاد وادي الرافدين في العصر الحجري القديم حتى الاحتلال ـسي، (بغداد-١٩٨٠م). ترجمة سامي سعيد الأحمد ، ص١٦٣. ينظر: ساكز ، هازي ، مة بابل ،ص٧٠ .
- باقر ، طه ، المقدمة ...الجزء الأول ، ص٤١٨-٤٢٠ .
- ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ترجمة عامر سليمان(بغداد -١٩٩٩م)، ص٢٥١ . ينظر: ، طه ، المقدمة ... ج١ ، ص٤٨١.
- باقر ، طه ، المصدر نفسه ، ص٤٨١ .
- ساكز ، هاري ، المصدر السابق ، ص٥٩ . ينظر: الأحمد ، سامي سعيد ، المستوطنات ورية في أسيا الصغرى، مجلة سومر ،٣٣ ، ١٩٧٩م ، ص٧٠-٧٢ .
- باقر ، طه ، مقدمة ، الجزء الأول ، ص٤٨١ .
- باقر ، طه ،المصدر نفسه ، ص٤٨١ .
- باقر ، طه ، المصدر نفسه ، ص٤٨١-٤٨٢ . ينظر: ساكز ، هاري ، قوة آشور ٥٨-٥٩ .
- كلين ، دانيال ، موسوعة علم الآثار ، الجزء الثاني ، ترجمة ليون يوسف ، (بغداد ١٩م) ص٥٠٣.
- كلين ، دانيال ،المصدر نفسه ، ص٤٨٤ . ينظر ، رو ، جورج ، العراق القديم ، ٣١٥ .
- الأحمد، سامي سعيد ، المستوطنات الآشورية في آسيا الصغرى، مجلة سومر العدد ٣٣، ١٩٠) ص٧٠-٧٢ . ينظر: إسماعيل ، بهيجة خليل ، مجلة النفط والتنمية ، عدد خاص ٧- (١٩٨١م)، ص٥٤ .
- بوستغيت ، نيكولاس ، حضارة العراق وآثاره،(تاريخ مصور)(بغداد،١٩٩٢م)، مة سمير عبد الرحيم الجلبي ، ص٨٦-٨٧.
- ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ص٥٨-٥٩ .

٣٧- الأحمد ، سامي سعيد ، المستوطنات الأشورية في أسيا الصغرى، مجلة سومر ، العدد ٣٣ (١٩٧٩م) ،ص٧٠ .
٣٨- الأحمد، سامي سعيد ، المصدر نفسه ، ص٧٦.
٣٩- باقر ، طه ، مقدمة... الجزء الأول ، ص٢٧-٢٨ .
٤٠- إسماعيل ، بهيجة خليل ، النفط والتنمية ،عدد خاص، ٧-٨ ، (١٩٨١م) ، ص٥٤ .
٤١- إسماعيل ، فاروق، المركز التجاري (كاروم)(karum) في الألف الثاني ق.م "في الحوليات الأثارية العربية السورية "، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية ((حلب وطريق الحرير)) أيلول، (١٩٩٤م) ص١٠٥-١٠٦ .
٤٢- إسماعيل ، بهيجة خليل ، المصدر السابق ، ص٥٠ .
٤٣- الهاشمي ، رضا جواد ، في حضارة العراق ، الجزء الثاني ، ص١٩٨-١٩٩ .
٤٤- باقر ، طه ، مقدمة ... الجزء الأول ص٨٣ .
٤٥- الأحمد ، سامي سعيد ، المستوطنات الأشورية في أسيا الصغرى،مجلة سومر ، العدد٣٣ ، (١٩٧٩م) ، ص٩٥ .
٤٦- Hallo, William ,w.and William Kelly simpson, the Ancient Near east Ahistory , (New York,1971) p.195.
٤٧- لارسن ، م.ث ، آشور القديمة والتجارة الدولية في سومر ، مجلة سومر، العدد ٣٥ ، ١٩٧٩ م ، ص٣٤٤.
٤٨- النجفي ، حسن ، التجارة والقانون بدءا في سومر ، مجلة سومر. العدد ٣٥ ،١٩٧٩م ،ص٤٢
٤٩- Lioyds,Early Anatiolia(Lonodon),1965 , p.115 .
٥٠- كلنغل ، هورست ، حمورابي، ملك بابل وعصره ، ترجمة غازي شريف ، ومراجعة علي يحيى منصور ،(بغداد، ١٩٨٧م)، ص٦٣ .
٥١- لوثرو ، جين وآخرون ، الشرق الأدنى والحضارات المبكرة ، الموصل ، ١٩٨٦م ، ترجمة عامر سليمان ،ص١٨٩ .
٥٢- صالح ، محمد وليد ، العلاقات السياسية للدولة الأشورية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، (١٩٦٧م)، ص٢٠ .
٥٣- الجادر ، وليد ، نظرات في مباحث ومؤلفات(أطروحة الكاتب الفرنسي بول كاريلي الاشوريين في كبادوكيا)، مجلة سومر ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٠م ، ص٣٨٩-٣٩٢ .
٥٤- الأحمد ، سامي سعيد ، المستوطنات الأشورية في أسيا الصغرى ،مجلة سومر ، العدد٣٣، (١٩٧٩م) ، ص٧٦-٧٧ .
٥٥- Lallo and simpson.op.cit.p.45.
٥٦- باقر ، طه وآخرون ، تاريخ العراق القديم ، الجزء الأول ، ص٢١٣.
٥٧- Postgale ,j.N.Early. mesop tamia.london.1996. p.214

- الأحمد ، سامي سعيد، المستوطنات الاشورية في اسيا الصغرى، مجلة سومر ، ٣٣، (١٩٧٩م)، ص٧٦ .
- الأحمد ، سامي سعيد وجمال رشيد ، تاريخ الشرق القديم ، (بغداد ١٩٨٨)، ص٣٤٧ .
- الأحمد ، سامي سعيد ، المستوطنات الآشورية في آسيا الصغرى ، مجلة سومر ، العدد ، (١٩٧٩م) ، ص١٦٥ .
- باقر ، طه ، مقدمة .. الجزء الأول ، ص٤٤٤ . ينظر: ساكز هاري، عظمة بابل ، ١١٠ .
- دولابورت ، ل ، بلاد مابين النهرين (حضارة بابل وآشور) (بيروت ، ١٩٧١م) ، ب مارون الخوري ، ص٢٥٩ .
- مورتكات ، أنطوان ، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه يتي (بغداد- ١٩٧٥م) ص٣١٥ ،ينظر: ناجي ،عادل ، الأختام الأسطوانية في حضارة اق ، الجزء الرابع (بغداد ،١٩٨٥) ، ص٢٨٩-٢٩١ .
- كلين ، دانيال ، موسوعة علم الآثار ، الجزء الأول ، ص٤٤ .
- باقر ، طه ، مقدمة .. الجزء الأول ص٤٨٢ .
- إسماعيل ، بهيجة خليل ،مجلة النفط والتنمية ،عدد خاص، ٧-٨ ، ١٩٨١م ،ص٦٧ .
- بوستغيث ، نيكولاس ، حضارة العراق وآثاره ، ص٨٦ .
- أوبنهايم ، ليو ، بلاد مابين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، (بغداد ١٩م) ،ص٢٠٥ .
- ساكز ، هاري ، قوة آشور ، ص٥٨-٥٩ . ينظر:الأحمد ، سامي سعيد ، المستوطنات ورية في أسيا الصغرى، مجلة سومر ، العدد٣٣، (١٩٧٩م) ، ص٧١ .